

خصائص النظم القرآني وبرهنة إعجازه في ضوء علم الحجاج

The Characteristic of Quranic Textual Structure and Proving its inimitability from the perspective of the Science of Argumentation

Ciri-ciri Struktur Teksual al-Quran and Pembuktian aspek l'jaznya daripada perspektif bidang argumentasi

فليح مضحي السامرائي*

آماد كاظم البرواري**

ملخص البحث:

يتلخص مضمون هذا البحث في معالجة مشكلة الطعن في نظم القرآن الكريم وبيان تهافتها لغوياً وعقدياً من خلال برهنة اعجاز نظم القرآن وتفوقه، من حيث بلاغته وبنيته الفنية وراقي أسلوبه على ما سواه من الأساليب اللغوية، ثم برهنة ذلك بالاعتماد على المنهج التحليل الوصفي لنظم القرآن الكريم من خلال محاور عدة بدءاً من محور المفردة القرآنية وخصائصها؛ إذ اختيرت كل مفردة بحكمة بالغة، ووضعت في مكانها المناسب وسياقها المحكم؛ بحيث لا تصلح مكانها مفردة أخرى، وتناولنا في المحور الثاني خصائص التركيب القرآني ونظمه من خلال بيان الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي المتناغم مع المعنى، وتعبيره الموجز الوافي من حيث المعنى، وإثبات عدم إثارة أسلوبه السأم والملل، وكذلك أظهرنا في المحور الثالث التآلف الصوتي في نظمه وتناسبه النغمي وأثره الفعال في نفسية المخاطب كأنما لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، فيدرك بذلك أنه أمرٌ خارجٌ عن طوق البشر ومعجز لهم عن الاتيان بمثله، وبرهنة عجز جهود معارضي القرآن الكريم أمام نظمه.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز-النظم-البلاغة-المفردة-التركيب.

* أستاذ مشارك، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا.

flayyih.mudhhi@mediu.edu.my

** مدرس علم الحجاج ومقارنة الأديان . جامعة زاخو . إقليم كردستان - العراق.

dr.amad80@gmail.com

أرسل البحث بتاريخ: ٢٠١٩/٥/٩م، وقبل بتاريخ: ٢٠١٩/١٠/٧م.

Abstract

The purpose of this research is summarized to refute the argument that the Qur'anic textual structure is linguistically void of any logic. This would be done through the demonstration of the inimitability of its textual structure, its superiority in terms of rhetorical and artistic structure as well as the eminence of the Qur'anic style in comparison to other linguistic styles. The author will set off by highlighting the characteristics of the Qur'anic term as each single word was wisely chosen and masterly positioned in its proper place and congruent context that any other term could not replace it. This research also aims to reveal the characteristics of the Qur'anic structure and systems through exhibiting its verbal consistency, internal rhythm that is consistent with the sense, its concise and adequate expression in meaning. This proves that its style is devoid of being tedious and boring and its sound is harmonious in its systems, its euphony and its impact on the psyche of its addressee comes out as if it is in agreement and coherence. Therefore, it is realized that it falls out of mankind's capacity and it is impossible for them to produce the like thereof.

Keywords: Inimitability, system, eloquence, term, structure.

Abstrak

Kajian ini adalah untuk menolak hujah yang mengatakan bahawa struktur tekstual al-Quran secara linguistiknya tidak mengandungi apa-apa yang boleh diterima pemikiran. Ini akan dilaksanakan dengan memaparkan I'jaznya dari segi struktur tekstual, kelebihanannya dari segi struktur balaghah dan estetika dan juga dari segi kecemerlangan stailnya jika dibandingkan dengan stail bahasa teks-teks lainnya. Penulis akan memulakan dengan menerangkan ciri-ciri teks al-Quran dari segi keistimewaan pemilihan dan kedudukan perkataan yang bertepatan dengan kehendak makna yang tidak dapat digantikan dengan kebarangkalian lain. Kajian ini juga bertujuan untuk mendedahkan ciri-ciri struktur dan sistem-sistem al-Quran dengan menerangkan kesinambungan penggunaan kata kerja, rima dalaman yang sealunan dengan makna serta ujarannya yang tepat dan padat dengan makna. In menunjukkan stail al-Quran tidak langsung membosankan dan ia adalah amat harmoni dan berkesinambungan dalam semua sistem-sistemnya. Bunyi dan kesannya terhadap keadaan psikologi pendengar menunjukkan kesatuan dalam kesinambungannya. Oleh itu, adalah sesuatu yang sukar untuk merumuskan bahawa ia adalah hasil karangan manusia dan adalah merupakan sesuatu yang mustahil untuk dihasilkan teks yang sedemikian.

Kata kunci: I'jaz, sistem, balaghah, terma, struktur

مقدمة

القرآن الكريم معجزة العصر والزمان واعجازه لا يتوقف عند حد معين، وكلما تقدمت الفنون اللغوية العلوم العقلية فإنها تزيد القرآن رسوخاً في الاعجاز، وقامت من اجل ذلك مئات الدراسات إن لم نقل آلاف لبرهنة صدق الرسالة المحمدية وما نزل به الوحي على صدر نبينا الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكانت أغلب الدراسات تقوم لغايتين رئيسيتين، أولهما ردع غير المؤمنين وكبح تبجحهم ورد ادعاءاتهم بأن القرآن من نتاج النبي، والثاني ترسيخ الإيمان في نفوس المؤمنين وتقوية عزيمتهم وإسناد حججهم لردع كل الشبهات، وليثبتوا ذلك بالأدلة العلمية القاطعة على إعجازه، وكجزء من هذا قامت دراستنا لتثبت اعجاز النظم القرآني لغويا وعقدياً من خلال برهنة تفوقه من حيث بلاغته وبنيته الفنية وورقي أسلوبه على ما سواه من الأساليب اللغوية، بدءاً من ابراز خصائص المفردة القرآنية إذ اختيرت كل مفردة بحكمة بالغة، ووضعت في مكانها المناسب وسياقها المحكم بحيث لا تصلح مكانها مفردة أخرى. وإظهار خصائص التركيب القرآني ونظمه من خلال بيان الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي المتناغم مع المعنى، وتعبيره الموجز الوافي من حيث المعنى، ووفقاً لهذه المعطيات ولإثبات هذه الحقيقة وضعنا هذا العنوان **خصائص النظم القرآني وبرهنة اعجازه في ضوء علم الحجاج**، ولنصل إلى نتائج افضت في نهاية المطاف إلى إيقاف كل الجهود المبذولة في سير غور هذا الإعجاز والوقوف بإعجاز أمام نظمه الذي خيب كل جهود المعارضين، ولنصل إلى حقيقة علمية لا يمكن الطعن بها هي أن في القرآن الكريم وضع كل شيء في مكانه، ورسمت حروفه بكل إتقان وعمق، مما ينم عن تخطيط هندسي بالغ الدقة في وضع الألفاظ في مواضعها، مما يستحيل على العقل البشري أن يلاحظ كل تلك الخصوصيات والمعاني عند من خلال الغوص في مكان القرآن الكريم واعجازه الرباني توصل الباحثان إلى وجود ظاهرة بارزة تستحق الوقوف عليها وإظهارها وتمثل في اعجاز نظمه وتفوقه من حيث بلاغته وبنيته الفنية وورقي أسلوبه على ما سواه من الأساليب اللغوية، بدءاً من تركيبة مفردته التي صيغت بحكمة بالغة، ووضعت موضعها المناسب وسياقها المحكم بحيث لا يمكن استبدال مفردة أخرى بها، أو وضع مرادفها محلها، وانتهاءً بإثبات عجز كل جهود المعارضين في النيل من قدسية القرآن الكريم وورقي أسلوبه المعجز من خلال برهنة تعبيره المعجز، وأسلوبه المهيمن على غيره من الأساليب اللغوية، وكذلك التالف الصوتي في نظمه وتناسبه النغمي وأثره الفعال في نفسية المتلقي.

أولاً: خصائص المفردة القرآنية

إنَّ النصَّ المعجز مكوّنٌ من مفرداتٍ اختيرت بحكمة بالغة، وقد تمّ توظيفها توظيفاً محكماً بلغ حدَّ الإعجاز، ووضعت في مكانها المناسب وسياقها المحكم بحيث لا تصلح مكانها مفردة أخرى؛ لأنه

بغيرها يختلُّ النظم ويتغير المعنى؛ حيث يستحيل أن تبدل لفظة بأخرى دون أن تضرب بتناسب الكلمات، وهذه الخصوصية للمفردة القرآنية موجودة في كل الآيات وجوداً ضرورياً؛ حيث لا يمكن أن نعدها ترفاً لغوياً كما هو الحال في النصوص الأدبية. وقد سعى علماء اللغة والمفسرون إلى بيان خصائص المفردة القرآنية في مصنفاتهم، ونذكر هنا أهم تلك الخصائص:

١. إن مفردات القرآن غالباً ما تفسر بالقرآن نفسه؛ فمثلاً إذ أردت فهم معنى كلمة (أب) في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾^١، فإن المعنى يتجلى حين الوصول إلى الآية التالية؛ إذ يقول تعالى: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^٢ فيتضح للقارئ أن الفاكهة هي طعام الإنسان، في حين أن ال: (أب) طعام الأنعام.

٢. سهولتها على اللسان والفتها للأذهان وقربها من الأفهام؛ لخلوها من اللفظ الغريب المستنكر والصعب المستكهر، وما توهم غرابتها أجاب عنها العلماء بما يليق بمقامها؛ فمثلاً كلمة (ضيزى) في قوله تعالى: ﴿الْكُفْرَ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى * تِلْكَ إِذْ قَسَمَ ضِيزَى﴾^٣، فهي جاءت في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد؛ فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله تعالى، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمةً لغرابة هذه القسمة التي أنكروها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بما الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى؛ وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، وأن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو بحثنا في اللغة لما وجدنا لفظة تصلح لهذا الموضع غيرها.^٤

٣. دقتها في الاستعمال؛ حيث تبرهن تفوق نظمها على نظم البلغاء، هذه المفردات وإن كانت في تناول البلغاء لكن ليس بإمكانهم أن يستعملوها مثل استعمال القرآن، ولا أن يوظفوها مثل توظيفه؛ وذلك لأن القرآن الكريم ممتنع عن التقليد والمحاكاة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾^٥؛ إذ يلحظ أنه استعمل (يطيقون) ولم يستعمل (يستطيعون)، وأن الكلمتين: يطيقونه ويستطيعونه ليستا سواء؛ فالإطاقة تعني: بذل أقصى جهد والوصول إلى نهاية الاحتمال، وحين احتمال الصوم الطاقة إلى ما لا يطاق سقط التكليف، وبهذا التفسير للإطاقة تنتفي الحاجة إلى تقدير (حرف نفي) محذوف كما قال بعض المفسرين: بأن القصد منه (لا يطيقونه)، وقد اضطروا إلى هذا التقدير لأنهم ساووا بين معنى الإطاقة والاستطاعة.^٦

٤. غنى المعاني المتعددة الدلالات للمفردة القرآنية؛ فيتسع الذهن عند التحليل لوفرة المعاني المحتملة لها، ويختار في الحمل على المعنى الأفضل مناسبة للمقام، ففي دلالاتها عمق وشمول وسعة وتنوع واستمرارية التكثر بشكل تتميز به دائماً عن دلالات الكلمات الأخرى في اللغة نفسها، ولكثرة هذا المجال صار فناً ألفت فيه العلماء تأليفاً مستقلاً موسوماً ب(الوجوه والنظائر) وثمة كتب عدة بهذا الاسم، ومن أمثلة ذلك

لفظة (الحكمة) التي وردت بمعانٍ عدة بحسب السياقات الواردة فيها، وقد ذكر المفسرون أنها وردت في القرآن على خمسة أوجه، هي:^٧

- علم القرآن وفهمه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.^٨
- السنة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾.^٩
- الفهم والعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خُذُوا كِتَابَ بَيْبُوتِ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾.^{١٠}
- النبوة، ومنه قوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾.^{١١}
- الموعدة والتذكرة، ومنه قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِالْعَمَلِ فَمَا تُعْنِ النَّذْرُ﴾.^{١٢}

ولو تأمل طلاب العلم فضلاً عن العلماء بصورة حيادية لأدركوا أن هذا النص بهذه الرقي البلاغي، والسبك الدقيق والانتظام المترابط والتعلق المتواشج، لا يمكن أن يكون منتجاً بشرياً صاغه إنسان بعبقريته، ولا يمكن للبشر بإمكاناتهم الذهنية المحددة واللغوية الاتيان بمثله أبداً، وعجزهم هذا دليل على انه خارج عن طوق البشر وأنه صدر من خالق حكيم قدير انزل بهذا النظم لعجز شعراء العرب مبرهننا لهم صحة نسبته الى الله وملزماً ايها الامان بوحدانيته المطلقة.

ثانياً: خصائص التركيب القرآني ونظمه

تناول علماء البلاغة أسلوب التركيب القرآني بالدراسة فتوصلوا إلى أنه يتميز بخصائص جمّة، نذكر

منها:

١. الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي المتناغم مع المعنى:

إن التركيبات اللغوية القرآنية تتميز بالتناسق الدقيق بين الألفاظ، والانسجام بين الدوال ومدلولاتها، فتعبر عن معانٍ ومدلولات عظيمة ذات أغراض بلاغية بديعة بأسلوب محكم؛ إذ يستحيل على البشر محاكاته وتقليده، فضلاً عن ذلك أنها ذات أصوات يستريح إليها السمع ويألفها الذوق، ولا تتم معانيها إلا بالصورة التي وردت بها، وأي وجه من التغير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال والإبداع القرآني، وتمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ * وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾،^{١٣} فحينما نتأمل في تناسق الكلمات في كل جملة منها، وتآلف الحروف الرخوة مع الشديدة ومع المهموسة والمجهورة... وغيرها، وتآلف الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها،

ندرك أن هذه الجملة القرآنية إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات في المقدار، وأن ذلك إنما قدر تقديراً بعلم اللطيف الخبير، وهيئات للمقاييس البشرية أن تقوى على ضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة.^{١٤}

٢. التعبير الموجز الوافي:

يقصد بالإيجاز الدلالة بأقصر العبارات على أوسع المعاني؛ فالتركيب القرآني مهما اختلفت صورته وأشكاله فلن تجد في تعبيره كلمة زائدة يصلح المعنى عند الاستغناء عنها، ولا يستطيع الإنسان أن يعبر عن مقصود الجملة القرآنية من عنده إلا بتفصيل الكلام في جمل عديدة، مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٦-٤٥)؛ "فبين كلمة (فأرسلون) وكلمة (يوسف) يكمن معنى العبارة الآتية: (إلى يوسف لأستعبر منه الرؤيا، فأرسلوه، فذهب إلى السجن وقال..)، فقد أنه أوجز جملاً عدة في جملة واحدة، من دون أن يخلّ بوضوح الآية ولا أشكل في فهمها.

٣. الجمال الفني الفصيح المبين:

تتميز التراكيب القرآنية بالتصوير الفني الراقي والبيان الفصيح والمتانة والهيبية، وأنها قد وُضعت وضعاً بحيث أن لكلٍ كلامٍ ولكل كلمة ولكل حرف، بل حتى لكل وقف ووصل أحياناً وجوهاً كثيرة جداً، تمنح كل قارئ حظّه ونصيبه من أبواب مختلفة، وأن لكل آية دلالة نصية ظاهرية، ودلالة خفية استنباطية، وأن كل عبارة في القرآن ذات شجون وغصون وفنون.

نذكر على سبيل المثال الدلالة التركيبية لقوله تعالى: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.^{١٥}

أعرب الأستاذ سعيد النورسي أن الآية تنهى وتزجر عن الغيبة بشدة وعنف بست مراتب، وأكد أن النهي تفيد التحريم، ورأى إن الهمزة الموجودة في البداية تفيد الاستفهام الإنكاري، وأن حكمها يسري إلى كلمات الآية جميعها، فكل كلمة منها تتضمن حكماً.

وعدّ الأستاذ الكلمة الأولى في الآية مقدرة بـ(ليس)؛ وذلك لأن الاستفهام الإنكاري يتضمن معنى ليس، فيكون معنى الآية بحسب تقدير الأستاذ:

أليس لكم عقل -وهو محل الإدراك- لتمييزوا به القبيح من الحسن؟

وفي الكلمة الثانية: (أيجب) تخاطب الآية بالهمزة، فيكون المعنى: هل فسد قلبكم -وهو محل الحب والبغض- حتى أصبح يرغب في أقبح الأشياء وأشدّها تنفيراً.

وفي الكلمة الثالثة: (أحدكم) تخاطب بالهمزة: يفهم منها الإنكار على ما جرى في الحياة الاجتماعية التي تستمد منها حيوية الجماعة، وتوحي العبارة إلى رفض المدنية التي تفسد الحياة الاجتماعية وتعكر صفوها.

وفي الكلمة الرابعة: (أن يأكل لحم) تخاطب بالهمزة: وفيها إنكار على ما أصابت الإنسانية من الأنانية والحقد، حتى أصبح الصديق ينال من صديقه الحميم في غيبته.^{١٦}

وفي الكلمة الخامسة: (أخيه) تخاطب بالهمزة: وفيها إنكار شديد على انعدام الرأفة، كأنه قال: أليس بكم رأفة بيني جنسكم؟ أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم؟ حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من جهات عدة، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشاً قاسياً.

وفي الكلمة السادسة: (ميتاً) تخاطب بالهمزة: وفيها إنكار على إفساد الفطرة وفقدان الوجدان إلى أن أصبح الإنسان يجترح أبغض الأشياء وأفسدها - وهو أكل لحم أخيه - في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير.^{١٧}

وبعد هذا التحليل نتوصل إلى أن الآية الكريمة بلغت ذروة الفصاحة، ففيه قياس تمثيلي في غاية الروعة والجمال الفني؛ لأن ثمة مناسبة قوية بين الغيبة وأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان؛ وذلك لأن الغيبة تعني ذكر مثالب الآخرين وعيوبهم وتمزيق أعراضهم في غيبتهم، وأن تمزيق العرض يشبه تمزيق اللحم؛ لأنه لما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته، كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال موته؛ ولما كان المغتاب عاجزاً عن رد الفرية عن نفسه، كان بمنزلة الميت الذي يُقَطَّع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه. وأما اعتبار ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحببة، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها.^{١٨}

يفهم مما سبق أن القرآن الكريم بيانه المتين الموجز استخدم القياس والتشبيه التمثيلي ومطابقة المعقول للمحسوس لتبدل دلالة قطعية على أن الغيبة محرمة شرعاً، وقبيحة عقلاً، ومدمومة فطرة، ومنبوذة عرفاً وواقعاً.

٤ . عدم إراث أسلوبه السأم والملل:

أي أنه يتجدد كلما رده اللسان، وسمعه الآذان بخلاف كلام البشر فإنه لا يلبث أن يخلق إذا كرر مرتين أو أكثر، في حين أن المصلي يكرر سورة الفاتحة سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة - فضلاً عن النوافل - في اليوم الواحد، ويفعل ذلك كل يوم في عمره كله من دون أن يكل أو يمل. وأنه لا يثقل على ذهن طفل بسيط فيحفظه، ولا يعجز أنسان أمي أعجمي عن قراءته بل حفظه عن ظهر قلب، ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال الذي يتأذى من أدنى كلام، بل يتلذذ به^{١٩}. والدليل على ذلك اعتراف أشد الناس عداوة للإسلام الوليد بن المغيرة - أحد رؤساء المشركين وبلغائهم - بإعجاز فصاحة

القرآن؛ إذ قال بعد أن سمعه: (والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم بجزءه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا والله... إنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته).^{٢٠}

٥. النظم الراقى المبدع:

يقصد بالنظم: تعلق الألفاظ بعضها ببعض في السياق من حيث الظاهر والخفاء والقرب والبعد، ثم الجمع والتنسيق بين دلالتها للوصول إلى معنى موافق لما يقتضيه المقام.^{٢١} ويظهر مما سبق أنه لا يمكن استنباط المعنى من اللفظ ذاته خارجاً عن السياق، بل لا بد من وضعه في سياق معين، ثم التنسيق بين دلالاته ودلالة بقية الألفاظ بناءً على الأغراض البلاغية المستوحاة من أسلوب التقديم والتأخير، والوقف والوصل، والإيجاز والتفصيل، واللف والنشر وغيرها من الأساليب، وذلك لأن المعاني هي المقصودة في إحداث النظم، وما الألفاظ إلا وسيلة للإفصاح عنها.^{٢٢} وثمة أمثلة عديدة لبيان نظم الكلمات والتناسق بينها في السياق، بحيث لا يصلح مكانها غيرها بتناسق وانسجام، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.^{٢٣}

إذ أن هذه الآية مسوقة لإظهار هول العذاب، وفيها تهويلٌ مستفادٌ من التقليل الذي تضمنته الآية، وهو نوعٌ من انعكاس الضد من الضد، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول:

لفظ (لئن) هو للتشكيك، والشك يوحى القلة.

ولفظ (مسّ) هو أول الإصابة وأدنى أنواعها في الأذية، يفيد القلة أيضاً.

ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، يفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي - مصدر المرة - يفيد القلة. وكذلك التنكير يفيد التقليل هنا بمعنى أنها شيء صغير إلى حد لا يُعلم، فيُنكر.

ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، يفيد القلة.

ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء قياساً بلفظ النكال والعقاب، فيشير إلى القلة.

ولفظ (ربك) يدل على الشفقة يفيد القلة بعكس لفظ (القهار، الجبار، المنتقم)، فإنها تدل على الشدة البالغة.

إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟^{٢٤}

وهكذا تجود هذه الآية القصيرة بمعانٍ بليغة جمّة، إذ أنّها تدل بمنطوقها على أن العصاة إذا لم يصبروا على أدنى أنواع العذاب، فبطريق الأولى أنهم لا يتحملون العذاب الأكبر. إذ ذُكر أدنى أنواع العذاب، وترك للقارئ أن يتأمل العذاب الكبير عن طريق قياس الأولى.

ولو جئنا لاستعراض خصائص التراكيب القرآنية لاحتاج الأمر إلى دراسات طويلة، وحسبنا الإشارة إلى بعض مما لحظه علماءنا وقرروه من خصائص تدعو الذهن إلى التعمق في مداليلها، والعمل على استنباط خصائص أخرى يتميز بها التركيب القرآني عن غيره من التراكيب، لأن القرآن الكريم هو النص الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبها، ولا تفتنى جواهره. وهذا من اللوازم العقديّة العقلية للإيمان بمصدرية الوحي الإلهي لهذا النظم الفريد.

ثالثاً: التآلف الصوتي وإيقاعه في النظم القرآني

إنّ المتأمل في ظواهر (النظم القرآني) اللغوية يدرك أنّ كلّ قضية فرعية فيه -فضلاً عن القضايا الكلية- تحتاج إلى دراسات أكاديمية مستقلة لاستكشاف غياهبها، وإنّ قضية (النغم الصوتي) والانسجام والتلاؤم والإيحاء... الخ تمثل جزءاً من إعجاز النظم القرآني، إذ يتميز بالتآلف والتناسب والتناسق على مستوى الحرف واللفظ والتركيب مع المعنى والدلالة المراد تمثيلهما بتلك الأصوات.

ومن الأدلة على رقي التآلف الصوتي في القرآن الكريم وتناسبه النغمي وأثره الفعال في نفسية المخاطب أنّ بلغاء العرب الكفار أدركوا الفرق الشاسع بين نظم القرآن وأساليبهم التي ألفوها من شعر ونثر، وذلك حينما قرئ عليهم القرآن، وسمعوا إيقاعه الرائع وألحانه المؤثرة، ورأوا نظم حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، كأنّها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، فأدركوا أنّه أمرٌ خارجٌ عن طوقهم ولا قبيل لهم به؛ لذا حاولوا اللغو عند تلاوته كي لا يتسلّل ذلك الصوت المميّز، الذي ليس له مثيلٌ إلى قلوبهم، فيتأثروا به هم وأتباعهم، وقد حكى عنهم القرآن ذلك بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^{٢٥}.

يتميز نظم القرآن بالتآلف الصوتي، أي: أنّ كلّ صوت فيه وُضع موضعه الذي لا يصلح غيره ليحلّ محله، فإذا وُقفَ على سرّه انكشف بعضٌ ممّا فيه، وحُفي ما هو أعظم، وقد تنبّه لهذا العلماء الأقدمون، فكانت لهم إشارات سريعة في ثنايا كتبهم إلى أثر الصوت وجرسه على دلالة الألفاظ والتأثير في نفسية المخاطب، منهم الرماني (ت ٣٨٦هـ)، والخطابي (ت ٣٨٨هـ)، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، وابن الأثير (ت ٦٣٧هـ).

نذكر منهم على سبيل التمثيل (ابن الأثير) (ت ٦٣٧هـ) وطريقة تناوله النظم الصوتي في القرآن الكريم.

فقد أشار في معرض حديثه إلى المناسبة الصوتية في اختيار لفظ دون آخر، مبيناً أن هذا أمر لا يُدرکه إلا من دقّ فهمه، وجلّ نظره، ويمثّل له بقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^{٢٦}، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^{٢٧}؛ فاستعمل (الجوف) في الأولى و(البطن) في الثانية، ولم يستعمل (الجوف) موضع (البطن) ولا (البطن) موضع (الجوف)، واللّفظتان سَوَاءٌ في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل؟^{٢٨}

ويمكن أن يكون السبب في هذا الاختيار عائداً إلى الدلالة الإيحائية لكلّ من هاتين اللفظتين، وذلك لأنّ مادّة كلٍّ منهما تختلف بعض الاختلاف عن مادّة اللفظة الأخرى؛ فمادّة (الجوف) توحى بالضمور والخلوّ والانحسار والعُمق، خاصة بما يرسمه (الجيم) وبعده (الواو) الساكن ثم (الفاء) من دلالة إيحائية، على عكس مادّة (البطن) التي توحى بالتواء والبروز والانكشاف، وهي أنسب للحمل من مادّة الجوف؛ فالجنين المكثّى عنه بقوله تعالى على لسان مريم: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ يناسبه كثيراً التواء والبروز والانكشاف، مثلما هي حال (الحامل)، ويناسبه، تبعاً لذلك، لفظ (بطن) دون (جوف).^{٢٩}

وما يزال العلماء والباحثون إلى يومنا هذا يستكشفون جمالية الإيقاع الصوتي وأثره على السامع في القرآن الكريم، ولا عجب في ذلك؛ فالقرآن هو الكتاب الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، وقد ألفت في ذلك كتب؛ منها مختصة بالإعجاز الصوتي، ومنها حاملة في ثناياها مباحث حول (الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم)، إضافة إلى دراسات وبحوث أكاديمية عدة.

نذكر جهود أحد من العلماء المعاصرين الذين اهتموا بالنظم والتألف الصوتي في القرآن الكريم، ألا وهو (مصطفى صادق الرافعي)، الذي استهل دراسته للنظم القرآني من أصغر وحدة في الكلام، وهو (الصوت) الذي يُحدّثه الحرف، ويجعل هذه الوحدة أساساً لحدوث النغم، فأصوات الحروف: (إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتّفقت، فلا بدّ لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يُمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصّها، وتجتمع صفاؤها، ويكون منها اللّحن الموسيقيّ، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يُثير بعضه بعضاً على نسبٍ معلومةٍ ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده)،^{٣٠} وقد أشار إلى أنّ بناء الألفاظ تقوم على اجتماع الحروف بعضها إلى بعض، وبناء التراكيب تقوم على اجتماع الألفاظ بعضها إلى بعض، فذكر ثلاثة جوانب للصوت في النظم القرآني:

الجانب الأول: (صوت النفس)، درّس فيه دلالة الكلمة باعتبار حقيقتها الوضعية، التي يرى أنّها صوت النفس؛ لأنّها تلبس قطعةً من المعنى فتختصّ به على وجه المناسبة، قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع، حين فُصّلت الكلمة على هذا التركيب.

الجانب الثاني: (صوت العقل)، وقصد به الصوت المعنوي، وما يشتمل عليه جملة الكلام من الوجوه البيانية التي يُدار بها المعنى.

الجانب الثالث: (صوت الحسّ)، وهو تفاوت الجمل في دقة التصوير، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجازبة النفس مرّةً وموادعتها مرّةً، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان، أو يسوق إليها من طرائف المعاني.^{٣١}

وعندما يتحدّث عن الحركات القصيرة ودورها في إفاء الألفاظ لمعانيها يقول: (ولو تدبّرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها، فيما هي له من أمر الفصاحة... حتى إنّ الحركة ربما كانت ثقيلةً في نفسها لسببٍ من أسباب الثقل أيّها كان، فلا تعذب ولا تُساع... فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبيًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النعم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه).^{٣٢}

وهكذا أثبت الدارسون قديماً وحديثاً أنّ القرآن الكريم يتصف بالتألف العجيب والتناسق المتين من حيث الانسجام الصوتي، وجرس الإيقاع المتواشج بين ألفاظه وتركيباته اللغوية، هذا من جانب ومن جانب آخر فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني؛ بأن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود كما اتضح من الأمثلة المذكورة.

ودونكم الكثير من الأعمال العلمية الأكاديمية التي تبين قيمة الصوت في النسق القرآني، وإيجاءاته المتعددة في رسم المعنى، والتراكبات الصوتية والتوزيع الهندسي الذي لا يمكن أن يحصل إلا بطريقة مقصودة وقدرة باهرة، فقد توقف الباحثون عند الأصوات القرآنية بحسب مخارجها وصفاتها، والتنغيم المصاحب لها، والنبر الذي يؤثر على المعنى، والمقاطع الصوتية المتوائمة، والإيقاع الخارجي والداخلي للتراكيب والألفاظ، وكيفية إيجاء الصوت في إنشاء المعنى وتناسبه معه بشكل دقيق.

رابعاً: عجز جهود معارضي القرآن أمام نظمه

مذ أن جهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بإعلان نبوته ودعوته إلى التوحيد، سلك المشركون مسالك شتى في الاعتراض على دعوته عموماً والقرآن الكريم خصوصاً، محاولةً منهم لإيقافه وصدّ الناس عن دعوته، وعن التأثير بأسلوب القرآن الكريم.

وتتلخص جهودهم فيما يأتي:^{٣٣}

١. السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب بالقرآن الكريم والرسول، والقصد منها: تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية؛ فقد سلكوا مسلك الاستهزاء بالرسول (عليه الصلاة والسلام) وأتباعه ظناً منهم أن ذلك كفيلاً بإنهاء أمر هذا الدين.

٢. مسلك الحمية والترغيب: فلما لم يفلحوا في السخرية والاستهزاء شرعوا في اتخاذ مسلك الحمية والعصية، فاشتكوا إلى أبي طالب ليكف دعوة ابن أخيه، فلما أخفقوا في ذلك حاولوا استخدام أسلوب الترغيب، وقد عرضوا على الرسول (صلى الله عليه وسلم) الملك والأموال والجاه مقابل أن يتخلى عن دعوته إلى التوحيد، لكن مساعيهم باءت بالفشل بعد أن رفض الرسول (عليه الصلاة والسلام) كل تلك الإغراءات.

٣. أسلوب التهيب: بعد أن أخفقوا في أسلوب الترغيب شرعوا في التهيب والتهديد؛ فحاولوا معاقبة كل من يسانده بدءاً بعشيرته الحامية له، فقاموا بوضع حصار اقتصادي واجتماعي على المسلمين وبني هاشم في (الشعب) لمدة ثلاث سنوات، وكانت مقاطعة اقتصادية واجتماعية قاسية لا سابقة لها في تاريخ العرب، ولما لم تنجح جهودهم شرعوا بالتهيب المباشر، وذلك بتعذيب المسلمين جسدياً حتى استشهد عدد منهم، وكانوا يرومون بذلك التأثير على ضعفاء المسلمين للعودة إلى دين آبائهم، وكذلك لتكون ضغطاً نفسياً على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وللحيلولة دون دخول أفراد جدد إلى الإسلام، غير أن تلك الوسائل كلها باءت بالفشل.

٤. تشويه تعاليم القرآن الكريم ومعارضة القرآن بأساطير الأولين، وإثارة الشبهات حوله، وبث الدعايات الكاذبة، ومحاولة إشغال الناس بها عن القرآن، ومن الشبه التي أثاروها أن القرآن مأخوذ من الكتابين السابقين (التوراة والانجيل)؛ فرد الله تعالى عليهم بقوله المحكم المتين متعرضاً ضمناً لمكمن الإعجاز وحقيقته وهو نظمه وتشكيله وليس مضامينه العامة، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَهْلَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^{٢٤}، أي: أن لسان أولئك القوم ولغتهم أعجمية، ولكن لسان هذا القرآن عربيٌّ مبين، فكيف للأعجمي أن يأتي بأعلى درجات الفصاحة وذروة البلاغة في اللغة العربية، ثم ذكرهم الله تعالى بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يعرف القراءة والكتابة أصلاً؛ فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾^{٢٥}، فحاججهم الله بما هو مسلم عندهم وهو أمية الرسول، وأنى لرجل أمي أن ينقل من التوراة والانجيل، علماً أن تلك الكتب لم تكن مترجمة إلى اللغة العربية قبل الإسلام. وبعد اعترافهم الضمني برقي لغة القرآن وإعجازه وعجزهم عن معارضته شرعوا في معارضته بطرق أخرى، منها: صدُّ الناس عن الاستماع الي كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَّا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ فقد كان القريشيون يتلقون الناس في المواسم ويجذرونهم من سماع القرآن الكريم، وذلك للحيلولة دون تأثرهم بالقرآن واقتناعهم به، ومن ثمَّ الدخول في الاسلام، غير أن هذا الموقف كان سبباً في دخول بعضهم فيه، كما في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي (رضي الله عنه).^{٣٧}

٥. مساومات حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض ما هو عليه؛ إذ بدأت المساومات تأخذ منحىً جديداً، فقد عرضوا على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) عبادة آلهتهم عاماً على أن يعبدوا الله الواحد الأحد عاماً، فرفض ونزلت (سورة الكافرون) مؤيدةً له. ثم طلبوا منه كشرط لإسلامهم أن يزيل ما في القرآن الكريم من ذمِّ للأوثان، لكن الله سبحانه وتعالى ردَّ عليهم بقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِفُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^{٣٨} مع كل ما نالوا من إخفاقات في معارضتهم للوحي والرسول لم يكفوا عن عنادهم، بل جددوا معارضتهم بطلب الإتيان بمعجزات مادية؛ ظناً منهم أنهم بذلك سيعجزون الرسول، فقد طلبوا منه انشقاق القمر، فلما ظهرت لهم تلك المعجزة اتهموه بالسحر،^{٣٩} وصور القرآن ذلك الجحود بكل صور البلاغة وعمق المعنى، فقال تعالى: ﴿اَفْتَرَبْتِ السَّاعَةَ وَانشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^{٤٠} هنا تمثلت حكمة الله تعالى البالغة، فقد جاءهم التحدي والإعجاز بما برعوا به وتفوقوا به على جميع الأمم، من هنا بدأ التحدي بالقرآن المعجزة المعنوية الماضية إلى قيام الساعة، وهنا كانت بداية الإشارة إلى حمل القرآن بين دفتيه دليل صدقه، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^{٤١} وقد بيّنا فيما سبق كيف عجز العرب كلهم مجتمعين على أن يأتوا ولو بسورة واحدة مثله، ولم تظهر ذلك في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنَّ من تحداهم من قومه تهيّبوا أن يعارضوه، وخشوا أن يظهر عجزهم، وعجزهم هذا دليل على اعترافهم بإعجاز لغة القرآن الكريم. وبعد فشل كل تلك المحاولات للطعن في القرآن الكريم والرسول (عليه الصلاة والسلام) للحيلولة دون نشر هذا الدين، طفقوا في محاربة الإسلام بالسيف والقوة والتحالف ضدّه كما في معركتي (أحد والأحزاب)، غير أنّ ذلك السجال انتهى بفتح مكة وانتصار المسلمين، وانتشار نور القرآن بين القبائل ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وإنهاء الشرك كلياً من جزيرة العرب.

الخاتمة

بعد هذا الجهد المبذول المتواضع توصلنا الى نتائج جمة نذكر أهمها:

١. إنَّ النصَّ القرآنيَّ المعجز مكوَّنٌ من مفرداتٍ اختيرت بحكمة بالغة، وقد تمَّ توظيفها توظيفاً محكماً بلغ حدَّ الإعجاز، ووضعت في مكانها المناسب وسياقها المحكم بحيث لا تصلح مكانها مفردة أخرى؛ لأنه بغيرها يختلُّ النظم ويتغير المعنى؛ حيث يستحيل أن تبدل لفظة بأخرى دون أن تضرب تناسب الكلمات. وهذا ما جعله يسمو على نظم الأدباء وأسلوب الشعراء.
٢. إنَّ القرآن الكريم يتصف بالتألف العجيب والتناسق المتين من حيث الانسجام الصوتي وجرس الإيقاع بين ألفاظه وتركيباته اللغوية هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني: أن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود.
٣. إنَّ ثمة علاقة تآثر وتأثير بين الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية، فلا يمكن التعمق في دراسة النص القرآني وفهم أسرارهِ إلا بالتعمق في دراسة اللغة العربية: نحوها وصرفها وبلاغتها ودلالاتها، وكذلك الحال بالنسبة للدراسات الأدبية: الشعرية والنثرية؛ فهي أيضاً لها علاقة وثيقة بالدراسات اللغوية.
٤. إنَّ الوقوف على الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني للقرآن الكريم لا يمكن أن يتمَّ من دون تسلُّح عميق بعلوم اللغة وأساليب العرب وفنونهم القولية وطبيعة حياتهم وما اعتادوه من تعبيرات كلامية وإنشاءات لسانية، وهذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل للتمهر بالأساليب والتعرف على قيمة التراكيب والجمال العربية، وكيفية توزيعها داخل النصوص الأدبية الرفيعة.
٥. إنَّ تحليل الآيات القرآنية والتأمل في كيفية تنظيمها وتشكيلها تشكيلاً لغوياً مناسباً يكشف عن ذلك الإعجاز، ويوضح سرَّ ضعف العرب الفصحاء عن مجازة نظم القرآن؛ حيث وضع كل شيء في مكانه، ورسمت حروفه بكل إتقان وعمق، مما ينمُّ عن تخطيط هندسي بالغ الدقة في وضع الألفاظ في مواضعها، مما يستحيل على العقل البشري أن يلاحظ كل تلك الخصوصيات والمعاني عند رصف الألفاظ المنبئة عنها.

هوامش البحث:

^١ سورة العيس، الآية ٣١.

^٢ سورة العيس، الآية ٣٢.

- ٣ سورة النجم: الآية ٢١-٢٢.
- ٤ انظر: الرافي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص ١٥٨.
- ٥ سورة البقرة، الآية ١٨٤.
- ٦ انظر: بنت الشاطي، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت ١٤١٩هـ)، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي**، ط ٣، (بيروت: دار المعارف، د.ت)، ص ١٩٧؛ وعمر، أحمد مختار، **لغة القرآن الكريم دراسة توثيقية فنية**، ط ٢، (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٧م)، ص ١٤٤.
- ٧ انظر العسكري، أبو هلال، **الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٧م)، ص ١٨٠-١٨٢.
- ٨ سورة البقرة، الآية ٢٦٩.
- ٩ سورة البقرة، الآية ٢٣١.
- ١٠ سورة مريم، الآية ١٢.
- ١١ سورة ص، الآية ٢٠.
- ١٢ سورة القمر، الآية ٥.
- ١٣ سورة القمر، الآية ١١-١٤.
- ١٤ انظر: داود، محمد، **كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام خصومه**، (القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٧م)، ص ٢١٠-٢١١.
- ١٥ سورة الحجرات، الآية ١٢.
- ١٦ انظر: النورسي، سعيد، **الكلمات**، ط ١١، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م)، ص ٤٣٨-٤٣٩.
- ١٧ انظر: المرجع السابق، ص ٤٣٨-٤٣٩.
- ١٨ انظر: ابن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نضمة مصر للطباعة والنشر، ٢٠١٨م)، ج ٣، ص ٢٦؛ وابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، **التفسير القيم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٠م)، ص ٤٨٠.
- ١٩ انظر: النورسي، سعيد، **الكلمات**، ص: ٤٣٥.
- ٢٠ البيهقي، أحمد بن الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت) ص ٢٦٨؛ والبيهقي، أحمد بن الخراساني، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٩٨٨م)، ج ٢، ص: ١٩٨.
- ٢١ انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٤٧١هـ) **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ص ٧؛ والنورسي، سعيد، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ط ١١، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١١م)، ص ٣١.
- ٢٢ انظر: فارس، لطيفة، **الإعجاز البياني في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي**، (القاهرة: شركة سوزلر، ٢٠٠٩)، ص ١٤٦.
- ٢٣ سورة الأنبياء، الآية ٤٦.
- ٢٤ انظر: النورسي، سعيد، **الكلمات**، ص ٤٢٦.
- ٢٥ سورة فصلت، الآية ٢٦.
- ٢٦ سورة الأحزاب، الآية ٤.
- ٢٧ سورة آل عمران، الآية ٣٥.
- ٢٨ انظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ١، ص ١٦٤.
- ٢٩ انظر: لوح، سيد علي، مير ماجد النجار، "الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم"، **مجلة أهل البيت عليهم السلام**، جامعة أهل البيت، العدد ٩، ص ٤٦.

- ٣٠ الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥١.
- ٣١ انظر: الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥٥-١٥٦، لوشي، سيد علي مير، ماجد النجار، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص ٤٥.
- ٣٢ الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٦٠.
- ٣٣ انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم اليباري وعبد الحفيظ الشلبي، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥ م) ج ١، ص ٢٤٠؛ والشيخ صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، ط ٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ص ٧٥-١٠٠.
- ٣٤ سورة النحل، الآية ١٠٣.
- ٣٥ سورة العنكبوت، الآية ٤٨.
- ٣٦ سورة فصلت، الآية ٢٦.
- ٣٧ هو الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة دوس، كان سيداً مطاعاً من أشرف العرب، وقد روى ابن اسحق قصة إسلامه ذلك أنه قدم مكة، فحذرتة قريش من لقاء النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونهوه عن السماع له، وقالوا له إنه ساحر، حتى سد أذنيه بالقطن، وأبى الله تعالى إلا أن يسمعه القرآن فلما سمعه استحسنته، وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام فعرضه عليه فأسلم رضي الله عنه، ثم جعل الله له آية نوراً على رأس سوطه، فكان يلقب بذئ النور. انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٠٧.
- ٣٨ سورة يونس، الآية ١٥.
- ٣٩ ملخص الحادثة: إن كفار مكة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: إن كنت صادقاً فأرنا معجزة ووعدوه بالإيمان إن فعل، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما طلبوا... فانشق القمر فصار فلقين، فقالوا: سحرهم محمد، وقال بعضهم: أسألوا المسافرين، فلو كان سحرنا لن يسحرهم، فلما أتت الناس سألها أهل قريش عن هذا الأمر، فقالوا: نعم، لقد رأينا القمر انشق في ذات الليلة التي انشق عندهم فيها، فكانت هي الليلة التي انشق القمر فيها للرسول عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك قالوا: هذا سحر مستمر ولم يؤمنوا؛ فأنزل الله ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ١ - ٢). وأن ثمة عدداً من العلماء أثبتوا تواتر الرواية، وكذلك يؤكدون إجماع المسلمين على وقوعها، منهم ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)؛ إذ قال: (وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه)، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨)، ج ٣، ص ١٤٦.
- ٤٠ سورة القمر، الآية ١-٢.
- ٤١ سورة الإسراء، الآية ٨٨.

References:

المراجع:

- ‘Umar, ‘ahmad Mokhtar, *Lughah al-Qur‘ān al-Karim: Dirāsah tauthiqiyyah faniyyah*, 2nd Edition, (Kuwait: Mu‘assasah al-Kuwait Li al-Taquadum al-‘ilmi, 1997).
- Al Fārsiy, Laṭifah Moḥammad, *al-‘i jāz al-Baiyāniy Fi al-Qur‘ān al-Karim ‘an Badi‘ al-Zamān Sa‘id Nursi*, (Cairo: Sozler, 2009).
- Al-‘askariy, ‘abu Hilal, *al-Wjuh Wa al-Nazā‘ir*, Taḥqiq: Moḥammad ‘uthmān, (Cairo: Maktabah alThaqāfah al-Diniyyah, 2007).
- Al-Bayhaqi, ‘ahmad Bin al-Khorasāniy, *Dalā‘il al-Nebwah Wa ma‘refah ‘ahwāl ṣāheb al-Shari‘ah*, Taḥqiq: ‘abd al-Mu‘ṭiy Qal‘aji, (Beirut: Dār Al-Kutub al-‘ilmiyyah, Dār al-Rayyān 1988).
- Al-Bayhaqi, ‘ahmad Bin al-Khorasāniy, *al-‘a‘tiqād Wa al-Hidāiyah ‘ilā sabil al-Rashād ‘alā Mazhab al-Salaf Wa ‘aṣḥāb al-Ḥaith*, Taḥqiq: ‘ahmad ‘isām al-Kāteb, (Beirut: Dār al-‘āfāq al-Jadidah, 1991).
- Al-Jurjani, ‘abd al-Qāher, *Dalāil al-‘i jāz Fi ‘il al-Ma‘āniy*, Taḥqiq: ‘abd al-Ḥamid Hindawi, (Beirut: Dār Al-Kutub al-‘ilmiyyah, 2001).
- Al-Nursi, Sa‘id, *‘ishārāt al-‘i jāz Fi Mazān al-‘ijāz*, Tarjamah: Iḥsān Qāsem al-Ṣālehi, 6th Edition, (Cairo: Sozler, sixth Edition. 2011).
- Al-Nursi, Sa‘id, *al-Kalimāt*, Tarjamah: Iḥsān Qāsem al-Ṣālehi, 6th Edition, (Cairo: Dār Sozler, 2011)
- Al-Rafi‘i, Muṣṭafa Ṣādeq, *‘i jāz al-Qur‘ān Wa al-Balāghah al-Nabawiyyah*, (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘arabi, No Date).
- Bint al-Shāṭi’, ‘āishah Moḥammad ‘ali ‘abd al-Raḥmān, *al-‘i jāz al-Bayāniy Li al-Qur‘ān Wa Masā‘il Ibn al-‘azraq*, 3rd Edition, (Beirut: Dār al-Ma‘āref, No Date).
- Dawood, Mohammed, *Kamāl al-Lughah al-Qur‘āniyyah Baina ḥaqā‘iq al-‘i jāz Wa ‘auhām khṣumeh*, (Cairo: Dār al-Manār, 2007).
- Ibn ‘arafah, Moḥammad Bin ‘ahmad al-Dessouqi al-Maliki, Ḥāshiyah al-Dessouqi ‘alā Mukhtaṣar al-Ma‘āniy Li al-Taftanāziy, 1st Edition, (Beirut: al-Maktabah al-‘aṣriyyah, 2007).
- Ibn al-‘athir, Naṣr Allah Ibn Moḥammad, *al-Mathal al-Sā‘ir Fi ‘adab al-Kāteb Wa al-Shā‘ir*, Taḥqiq: ‘ahmad al-Ḥoufi Wa Badawi Ṭabbānah, (Cairo: Dār Nahḍet Miṣr, 2018).
- Ibn al-Qayyim, Moḥammad Ibn ‘abi Bakr Ibn ‘ayyub, *Tafsir al-Qaim*, Taḥqiq: Maktab al-Dirāsāt Wa al-Beḥuth al-‘arabiyyah Wa al-Islāmiyyah, (Beirut: Dār Wa Maktabah al-Hilāl, 1990).
- Ibn Hishām, ‘abd al-Malik Bin Hisham Bin ‘ayoub al-Hemyari, *al-Sirah al-Nabawiyyah*, Taḥqiq: Muṣṭafā al-Saqa Wa Ibrahim al-‘ibiariy Wa ‘abd al-Ḥāfiẓ Chalabi, 2nd Edition, (Egept: Sharekah Wa Maktabah Wa Maṭba‘ah Moṣṭafā Bābi al-Ḥalabi Wa ‘aulādeh, 1955).
- Ibn Katheer, Isma‘il Bin ‘umar Bin Katheer al-Qurashi, *al-Bidāyah Wa al-Nihāyah*, Taḥqiq: ‘ali Shery, (Beirut: Dār ‘ihyā’ al-Turāth al-‘arabi, 1988).